
العظيم
جل جلاله
د. شريف فوزي سلطان
شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الكتاب منشور في



العظيم جل جلاله

- قال تعالى: { **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** } الشورى: 4.
- وقال تعالى: { **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** } البقرة: 255.
- ومعنى: { **وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا** } أي لا يعجزه ذلك.
- وقال تعالى: {**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ** } الحاقة:25- 33.

وإطلاق هذا الاسم في هذا السياق يفيد عتاباً شديداً وتوبيخاً كبيراً مفاده: الله العظيم جل جلاله، كيف لا يُعظم ؟ كيف لا يؤمن به ؟ ويُذعن له ؟ ويُنقاد لشريعته ؟ أيضاً ما من مخلوق من البشر إلا ما ندُر إلا وهو يؤمن بالله أي بوجوده وخلقه لهذا الكون، لكن الإيمان الذي يحقق السعادة في الدنيا والنجاة من عذاب الله في الآخرة هو الإيمان بالله العظيم،
لأنك إن آمنت بالله العظيم استحييت أن تعصيه وكَبُر عليك أن تعرض عنه، سل هؤلاء الذين يعصون الله ليلاً ونهاراً، ترك للصلاة واتباع للشهوات، كسب محرم، علاقات بالنساء، صحبة سيئة، عدوان على الآخرين.. سل أحد هؤلاء: ألا تؤمن بالله ؟ فسيقول: بلى، ويقصد أنه يؤمن بوجود الله وأنه خالق هذا الكون !!
فإذا قلنا لنا: إذن كيف تعصيه ؟ كيف تجعله أهون الناظرين إليك ؟ كيف تُلقي شرعه وراءك ظِهرياً ؟ الجواب: لأنه لا يؤمن بالله العظيم، لا يعرف الله حق معرفته.
وصدق من قال: معرفة الله أصل الدين ؛ لأنك إذا عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر.
- وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسبّح بهذا الاسم في الركوع فقال:" **أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه في الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم** " ([1]).

[1] - رواه مسلم.

معنى الاسم في حق الله:

(العظيم) جل جلاله: هـو صـاحب العظمـة والجلال والجمـال والكمـال في كل شيء.

فهو عظيم في ذاتـه وفي أسـمائه وفي صـفاته، عظيم في رحمتـه، عظيم في قدرته، عظيم في حكمته، عظيم في جبروته وكبريائه، عظيم في هبتـه وعطائـه، عظيم في لطفـه وخبرتـه، عظيم في بـره وإحسـانه، عظيم في عزته وعدله وحمده، فهو العظيم المطلق فلا أحد يساويه ولا عظيم يداينـه " ([2]).

قال ابن القيم رحمه الله:

وهـو العظيم بكـل معـنىً يـوجب التعظيم لا يحصـيه من إنسان ([3]).

أي: مهمـا عظمـه المعظمـون وأثـنى عليـه المثنـون ومجـدّه الممجـدون لا يُحصون ثناءه ولا يعظمونه حق عظمته ولايقدرونه حق قدرة.

وجاء في الصحيح أن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم كـان يـدعو ويقـول: " **اللهم إني أعـوذ برضـاك من سـخطك وبمعافتـك من عقوبتـك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثـنيت على نفسـك** " ([4]).

(العظيم) جل جلاله: هو الذي ليس لعظمته بداية ولا لجلاله نهاية.

لو نظرنا إلى عظيم من عظماء البشر، لو نظرنا إلى عظيم بماله، قد كان قبل ذلك فقيراً، لو نظرنا إلى عظيم بعلمـه قـد كـان قبـل ذلـك جـاهلاً، لـو نظرنا إلى عظيم بجاهه أو ملكه، قد كـان قبـل ذلـك نسـياً منسـياً، كمـا أن هؤلاء العظماء إلى زوال لكن الله العظيم، ليس لعظمتـه بدايـة ولا لجلالـه نهاية.

و " العظمة " : صفة من صفات الله لا يقوم لها خَلْق والله تعـالى خَلَـق بين الخلق عظمـةً يُعظم بهـا بعضـهم بعضـاً فمن النـاس من يُعظم المـال ومنهم من يُعظّم لفضـل ومنهم من يُعظم لعلم ومنهم من يُعظم لسـلطان ومنهم من يُعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يُعظم بمعنى دون معنى، والله عز وجل يعظم في الأحوال كلها، فينبغي لمن عرف حق عظمة اللـه ألا يتكلم بكلمة يكرهها الله ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله إذ هـو القـائم على كل نفس بما كسبت "([5]).

---

[2] - أسماء الله الحسنى: الأشعر.

[3] - النونية.

[4] - رواه مسلم.

[5] - الحجة في الحجة: الأصبهاني.

قال صلى الله عليه وسلم: " **إن الله يقول: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما عذبته** " ([6]).
وفي رواية أبي داود: " **قذفته في النار** ".
قال الخطابي: معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه واختُص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والذل.([7])
فعظمة العبد كبره المذموم وتجبره وإذا وصف العبد بالعظمة فهو ذم لأن العظمة في الحقيقة لله.([8]).
ولهذا جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان** " ([9]).

العظيم يتحدث عن عظمته..

عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **قال الله تعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضَرِّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنتكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحدٍ مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه** " ([10]).

---
[6] - رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.
[7] - عون المعبود: العظيم آبادي.
[8] - المعاني الايمانية في شرح الأسماء الحسنى الربانية نقلاً عن لسان العرب.
[9] - رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.
[10] - رواه مسلم.

الخير العميم في اسم الله العظيم:

تأمل هذه الأحاديث تجد الخير العميم في اسم الله العظيم وفي نفس الوقت سيظهر لك مدى تقصيرنا في حق ربنا من ذكره وطاعته ومدى الحرمان الذي حُرمناه بسبب ذلك.

1- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم " **كان يدعو عند الكرب ويقول لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم** " ([11]).

وفي رواية لأهل السنن:" **كلمات الفرج** " وذكر نحو هذه الكلمات، فما من كرب عظيم إلا والله أعظم منه وما من هم كبير إلا والله أكبر منه، فالعظيم جل جلاله لا تعظم عليه شدة أن يكشفها ولا كرب أن يرفعه.

{**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76)** } الصافات: 75-76.

2- يقول صلى الله عليه وسلم: " **ما من مسلم يعود مريضاً لم يحضر أجله فيقول سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عوفي** "([12]).

3- وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال: " **أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال: إذا قال ذلك حُفظ منه** [أي من الشيطان] **سائر اليوم** " ([13]).

4- يقول صلى الله عليه وسلم: " **من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ذلك وزاد عليه** " ([14]).

5- يقول صلى الله عليه وسلم: " **من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فَرّ من الزحف** " ([15]). وورد في السنن بلفظ " **ثلاثاً** " وبدون "العظيم ".

هذه خمسة أحاديث ولم أُرد الاستقصاء والتكثير وإنما أردت الإشارة إلى أن العظيم جل جلاله إذا ذكر حل النفع والخير ودُفع الضُّر والشر.

اقتران اسم الله " العظيم " باسم الله العليّ":

---

11 - رواه البخاري.

12 - رواه الترمذي وصححه الألباني.

13 - رواه أبو داود وصححه الألباني.

14 - رواه مسلم وغيره.

15 - رواه الترمذي وصححه الألباني.

إشارة إلى أن الله تعالى عظيم في علوه وعالٍ في عظمته سبحانه جل قدره وتعالى شأنه.

اقتران اسم الله العظيم باسم الله الحليم:

إشارة إلى أن عظمته سبحانه لم تمنعه من أن يحلم عن خلقه ويصفح، ولم يكن حلمه سبحانه عن الضعف وعجز وإنما عن عظمة وقدرة وقهر.

من دلائل عظمته جل جلاله:([16])

إن القلب ليرتجف من الهيبة والجلال وهو يتحدث عن عظمة الملك الحق الكبير المتعال.

عظيم لا تحيط به الظنون بقدرته التحرك والسكون

تعالى الله خالق كل شيء مقدره إلى وقت يكون

إذا ما فُزت منه بالتجلي فكل شدائد الدنيا تهون

من دلائل عظمته: عظمة أسمائه وصفاته:

فهو سبحانه وتعالى الواحد المتفرد بالكمال والجمال والجلال المنزه عن الشريك والشبيه والمثال، قال عز من قائل: {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**} الشورى:11.

قال عز من قائل: {**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**} الأنعام: 59.

من دلائل عظمته: أنه لا يملك أحد في هذه الدنيا أن يراه:

فهو سبحانه أعظم من أن تحيط به الأبصار، ألم تر إلى الجبل كيف اندك ؟ ألم تر إلى موسى كيف صُعق ؟ قال تعالى: { **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** }الأعراف 143.

قال جل شأنه: {**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**} الأنعام: 103.

[16] - مختصر من " معرفة الله وأسباب محبته " سيد عطوة

وكما قال أعظم الخلق به صلى الله عليه وسلم: " **حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** " ([17]).
قال ابن مسعود رضي الله عنه: " ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السماوات والأرض من نور وجهه ".
وقال صلى الله عليه وسلم: " **اعلموا أنكم لن ترون ربكم حتى تموتوا** " ([18]).
ولكن فليبشر الصالحون يوم القيامة بلذة نظرهم إلى وجهه الكريم، وذاك أعلى وأعظم نعيم أهل الجنة. قال تعالى: {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** } القيامة: 22-23.
وقال صلى الله عليه وسلم: " **إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ فيُكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }** يونس: 26 ([19]).

ومن دلائل عظمته: عظمة كرسيه:

ولم يرد ذكر الكرسيّ في القرآن إلا في آية واحدة وهي أعظم آية في القرآن لأنها احتوت على أسماء الله وصفاته، فهي مكونة من عشر جمل كلها أسماء وصفات لله عز وجل وفيها يقول الله: {**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** } البقرة:255.
قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فجلست إليه فقلت: يا رسول الله أيما أنزل عليك أفضل ؟ قال: **" آية الكرسيّ وما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاةٍ بأرضٍ فلاة، وفضل العرش على الكرسيّ كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة "** ([20]).
ورغم هذه العظمة الباهرة المبهرة للكرسي إلا أنه موضع القدمين.
قال ابن عباس: الكرسيّ موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره ([21]).
إن العقل يطيش ويُذهل عندما يتأمل فقط سعة الأرض، فكيف بسعة السماوات والأراضين كلها ؟ فإذا كان الكرسيّ يسع هذا كله فكيف تكون عظمته ؟ سبحان الملك العظيم !!

---

[17] - رواه مسلم.
[18] - رواه الطبراني وانظر صحيح الجامع.
[19] - رواه مسلم.
[20] - انظر السلسلة الصحيحة.
[21] - صححه الألباني في مختصر العلو.

ومن دلائل عظمته: عظمة عرشه:

عرش الله جل جلاله هو أكبر المخلوقات وأعظمها، وقد وصفه ربنا بالعظمة فقال:

{ وهو رب العرش العظيم } التوبة:129.

وقال تعالى: {**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** }المؤمنون:116.

وقال تعالى:: { **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** }البروج:14-15.

ولعظمة العرش وجلاله ومكانته خلقه العليم العظيم بيده.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: " خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش والقلم وآدم وجنة عدن ثم قال لسائر الخلق: كن فكان "([22]).

ولعظمة العرش كذلك جعله الله سقف المخلوقات.

قال صلى الله عليه وسلم: " **إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجّر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن** " ([23]).

وحملة العرش ثمانية

يتحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن واحد منهم قائلاً: " **أُذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام** ".([24])

إذا أردت أن يكون لك ذكر عند العرش ؟

قال كعب رضي الله عنه: " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لهن دويٌّ حول العرش كدويّ النحل يُذكرن بصاحبهن " ([25]).

ومن دلائل عظمته:

عظمة التشريع الذي شرعه لعباده فهو يضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة ويحقق لهم الأمن والأمان والاطمئنان، فقد شرع لنا ربنا شرعاً محكماً عظيماً جمع لنا فيه كل خير وقال فيه: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**}المائدة: 3.

- شرع لنا الصلاة: تزكي نفوسنا وتُغفرذنوبنا وتُرفع فيها درجاتنا ويوصل بها بيننا وبين ربنا { **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** } العلق: 19.
- وشرع لنا الزكاة: تطهر أموالنا ونفوسنا {**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** }التوبة:103.
- وشرع لنا صياماً: يربينا على الصبر والعزيمة والثبات وتمام المراقبة.

---

22 - رواه الآجري واللالكائي وصححه الذهبي والألباني في مختصر العلو.

23 - رواه البخاري.

24 - رواه أبو داود وصححه الألباني.

25 - رواه ابن أبي شيبة في كتاب " العرش " وصححه الألباني في مختصر العلو.

- وشرع لنا الحج على القادرين ليكون جهاداً بالنفس والمال واستجابة لأمر الله وإقبالاً بالحب إلى حرم الله.
- وهكذا شرائع الاسلام كلها فيها سعادة الدارين.

وشرع الله تعالى من الشرع ما يحفظ على المسلمين أعراضهم وأموالهم ودماءهم ودينهم وعقولهم.

- فمن أجل الحفاظ على الأعراض حَرّم الله الإسلام مجرد القرب من الزنا وشرع حدّه المعروف.
- ومن أجل الحفاظ على الأموال حرم السرقة والربا والغش وأكل أموال الناس بالباطل وشرع حد السرقة وهو القطع المعروف
- ومن أجل الحفاظ على الدعاء حرم القتل وشرع القصاص.
- ومن أجل الحفاظ على الدين شرع حد الردة.
- ومن أجل المحافظة على العقول حرم الخمر والخدارات وما يتفرع عنها.

ومن دلائل عظمة ربنا: عظمة كتابه:

يقول صلى الله عليه وسلم مبيناً عظمة القرآن: " **والذي نفسي بيده ما أُنزل في التوارة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها – يعني آيات أم القرآن – وإنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته** " ([26]).

سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم: {**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** } النحل:90، فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر " ([27]).

وعن جبير بن مطعم قال: **سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية:** {**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ** } الطور: 35-37، **قال: كاد قلبي أن يطير للاسلام** " ([28]).

بل انظر لروعة القرآن وعظمته حين تأخذ الكافرين حتى يسجدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حين يسمعون القرآن منه "، فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: " **سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس** ".

---

[26] - رواه احمد والترمذي وصححه الألباني.
[27] - رواه الحاكم والبيهقي في الدلائل وقال محقق الشفا: حسن بجموع الطرق.
[28] - رواه الشيخان.

ومن دلائل عظمته، عظمة خلقه:

من تأمل هذه المخلوقات العجيبة امتلأ قلبه بعظمة الله العظيم،قال تعالى: {**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** } الإسراء: 44.

وقال جل ذكره: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** } الحج: 18.

وقال صلى الله عليه وسلم : " **ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم** " ([29]).

---

[29] - أخرجه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في الصحيحة.

ومن دلائل عظمته: عظمة يوم القيامة.

يوم القيامة يوم عظيم أمره شديد هوله، لا يلاقي العباد يوماً مثلـه، وصـفه الله تعـالى بالعظمـة حين قـال: {**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُـونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِـرَبِّ الْعَـالَمِينَ**} المطففين: 4-6.

وقال تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَـةَ السَّـاعَةِ شَـيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُـكَارَى وَمَـا هُمْ بِسُـكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** } الحج:1-2.

الطفـل الصـغير يشـيب شـعره من هـول مـا يـرى: {**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا** } المزمل:17.

وإذا الجـنين بأمـه متعلـق يخشـى القصـاص وقلبه مذعور

هـذا بلا ذنب يخـاف جنايـةً كيـف المصـر على الذنوب دهور

{ **يَـوْمَ يَفِـرُّ الْمَـرْءُ مِنْ أَخِيـهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيـهِ (35) وَصَـاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** }عبس: 34-37.

عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول اللـه صـلى الله عليه وسـلم يقـول: " **تُدني الشـمس يـوم القيامـة من الخلـق حتى تكون منهم كمقدار ميل** " قال سليم: فوالله ما أدري مـا يعـني بالميل ؟ أمسافة الأرض التي تكتحل بهـا العين ؟ قـال: " **فكيف النـاس على قـدر أعمـالهم في العـرق فمنهم من يكـون إلى كعبيـه ومنهم من يكـون إلى ركبتيـه ومنهم من يكـون إلى حِقويـه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً " وأشار رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم بيده إلى فيه.** ([30]).

إنـه يـوم عظيم يتلاشـى فيـه كبريـاء كـل المخلـوقين وتنمحي عظمـة كـل العظماء ويعميهم الـذل ويـزعجهم الخـوف لا يملكـون كلامـاً أو اعتـذاراً أو تصـرفاً { **يَـوْمَ هُمْ بَـارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَـيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** } غافر: 16.

---

30 - رواه مسلم.

كيف نعظم الله ؟ كيف نقدره حق قدره ؟

علامات تعظيم الله:

أمرنا الله تعالى بتعظيمه وجعل ذلك علامةً على التقوى وأمارةً للإيمان وسبيلاً لنيل الخير والثواب في الدنيا والآخرة.

قال تعالى :{ **يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** } الحج: 32.

وشعائر الله تعالى: دينه وشرعه وعبادته.

وإذا كان تعظيم شعائر الله علامة على تقوى القلب وصلاحه، فإن الاستخفاف بشعائر الله والاستهانة بها علامة على فساد القلب وفجوره وربما كفره، قال تعالى: {**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** } البقرة:229.

وقال تعالى: { **وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ** } الحج:30.

قال ابن القيم رحمه الله: قال جماعة من المفسرين: حرمات الله مغاضبه وما نهى عنه وتعظيمها ترك ملابستها، وقال الليث: حرمات الله ما لا يحل انتهاكها، وقال قوم: الحرمات هي الأمر والنهي، وقال الزجاج: الحرمة: ما وجب القيام به وحُرِّم التفريط فيه.

والصواب: أن الحرمات تعم هذا كله وهي جمع حرمة وهي ما يجب احترامه وحفظه من الحقوق..." ([31]).

قال ابن كثير – في تفسير الآية: " أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه فهو خير له عند ربه أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل ([32]).

وحتى يعلم هل العبد هو معظمٌ لله تعالى على الحقيقة أم لا، هناك علامات ودلائل يُعرف بها ذلك.

تعظيم أسمائه وصفاته:

بأن نفهمهاعلى مراد الله ورسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل كما قال عز من قائل: {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } الشورى:11.

وكذلك تعظيمها أن نعرف معناها ونعمل بمقتضاها ونرى في الكون آثارها ونتعبد لله بها وبذلك نكون قد أحصيناها عملاً بقول النبي - صلى الله عليه

---

31 - تهذيب مدارج السالكين.

32 - المصباح المنير: المبار كفوري.

وسلم -: " **إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة** " ([33]).

33 - رواه البخاري.

تعظيم الأمر والنهي:

لأن تعظيم الأمر والنهي ناشيء عن تعظيم الآمر الناهي - جل جلاله -.
ولهذا ذم الله تعالى من لم يعظم أمره فقال: {**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا** } نوح: 13.
أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وسلطاناً، ويقال: ما لكم لا تعظمونه حق عظمته فتوحدونه. ([34]).
وتعظيم الأمر إنما يكون باتباعه، وتعظيم النهي إنما يكون باجتنابه.
قال تعالى: {**أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** } الأنفال: 24.
وإذا عظمت أمر الله تعالى ممتثلاً ونهييه مجتنباً فأبشر:
قال تعالى: { **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا** } النساء:66.
وقال تعالى: {**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } القصص: 50.
وقال تعالى: {**اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ** } الشورى: 47.
فالفرص لا تكرر، فإذا أتتك أوامر الله أو أوامر رسول الله فسارع ممتثلاً، إذا بلغك ما نهى الله عنه فسارع منتهياً لأن اليوم حياة وغداً موت، اليوم تقدر وغداً لا تقدر.

ليس في كل حين وأوان ** تتهيأ صنائع الإحسان**
فإذا أمكنت فبادر إليها * حذراً من تعذر الإمكان** ([35]).

وقال تعالى: {**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا** } الأحزاب:36.
ذُكر في تفسير هذه الآية أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد أن يحطم الفوارق الطبقية بين الناس، أراد أن يزيل الحواجز بين الفقراء والأغنياء وبين الأحرار أصلاً والذين أنعم الله عليهم بالحرية بعد ما كانوا عبيداً، أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يبين للناس أنهم جميعاً كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجميّ ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، فقام إلى زينب بني جحش، **قام إليها يخطبها إلى مولاه زيد ابن حارثة** – الذي أنعم الله عليه بالحرية – فلما ذكره

---

34 - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: الفيروز آبادي.
35 - مكارم الخلاق: الخرائطي.

لها قالت: لست بناكحته، فقال - صلى الله عليه وسلم -: **بل تنكحينه،** فبينما هما يتحاوران إذ بالوحي ينزل لفصل القضاء { **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ.......... }** فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على زينب، فقالت: يا رسول الله أترضاه لي زوجاً ؟ قال: **نعم،** قالت: إذن لا أعصي الله ورسوله.

أوامر الله تعالى لا تقبل النقاش ولا تخضع للخيرة، أوامر العزيز الجبار لا تُرد ولا تُرفض وإلا كان العقاب الوضيم والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: {**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** } [النساء:65].

هذا هو تعظيم الله على الحقيقة.

1- أن تُحكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جميع حياتك.
2- ألا يكون في نفسك شيء من حكمه.
3- أن تنقاد لحكمه.

فقد أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّم النبي - صلى الله عليه وسلم - في جميع الأمور ثم ينقاد لما حكم به ظاهراً وباطناً ويُسَلِّم لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ولا سؤال عن العلل أو تتبع للرخص أو روغان كروغان الثعالب.

حكاية الله تعالى عن قوم حُرموا تعظيم الأمر والنهي:

قال الله تعالى: { **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }** النور: [47-52].

علامات تعظيم الأمر والنهي:

1- المبادرة إلى الأوامر والقيام بها على أحسن الوجوه:

قال تعالى: {**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** } البقرة: 148، أي: سارع إليها قبل فواتها.([36]).

وقال تعالى: { **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ** } الحديد: 21.

وقال - صلى الله عليه وسلم -: " **بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم...**" ([37]).

في هذا الحديث: حث على اغتنام الأعمال الصالحة قبل ظهور ما يمنعها ([38]).

يقول ابن القيم رحمه الله: " علامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها والحزن والكآبة والأسف عند فوات حق من حقوقها كمن يحزن على فوات الجماعة ويعلم أنه إن تُقُبِّلت منه صلاته منفرداً فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفاً، ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون ديناراً لأكل يديه ندماً وأسفاً فكيف وكل ضعف مما تُضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف وألفٍ وألفٍ وما شاء الله " ([39]).

2- اجتناب المناهي اجتناباً تاماً مطلقاً:

إذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال في الأمر: " **إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم** " فقد قال في النهي**:** " **وما نهيتكم عن شيء فاجتنبوه** " ([40]).

قال ابن القيم رحمه الله: " وأما علامات تعظيم المناهي فالحرص على التباعد عن مظانها وأسبابها وما يدعو إليها ومجانبة كل وسيلة تقرِّب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها وأن يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروه، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسِّنها ويدعوا إليها ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله وحرماته " ([41]).

---

36 - تطريز رياض الصالحين: فيصل آل مبارك.

37 - رواه مسلم.

38 - المصدر السابق.

39 - الوابل الصيب.

40 - متفق عليه.

41 - الوابل الصيب.

الغضب إذا انتهكت حرمات الله:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " **ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً قط بيده ولا امرأةً ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ينل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله** " ([42]).

قال ابن القيم رحمه الله: " ومن علامات تعظيم النهي أن يغضب لله - عز وجل- إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزناً وكسرة إذا عصي الله – تعالى - في أرضه ولم يُطَع بإقامة حدوده وأوامره ولم يستطع هو أن يُغير ذلك " ([43]).

تعظيم الأمر والنهي عند الصحابة:

1- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ** } البقرة:284 .

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- [أي شق عليهم الأمر وشعروا أنهم هالكون لا محالة لأن حديث النفس لا ساحل له ولا ينجوا منه ناجٍ فمن ذا الذي لا تحدثه نفسه بسوء وشر ؟] فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبركوا على الركب فقالوا: يا رسول الله كُلفنا من الأعمال ما نُطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك آية لا نطيقها [لم يقولوا ذلك اعتراضاً قطعاً لأنهم إنما جاءوا لابسين لباس الخوف والقلق، فوجه كلامهم: خشيتهم الهلاك بعدم القدرة على الامتثال ومع ذلك لم يسمح لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذه الوقفة التي وقفوها وإنما قال:] فقال - صلى الله عليه وسلم -:

" **أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** "

[هذا هو موقف المسلم من أوامر الله: سمعنا: أي سماع قبول وفهم وتعلم واستيعاب، وأطعنا: استجبنا لمقتضى ما سمعنا، غفرانك ربنا: الاستغفار الدائم على التقصير الواقع في الاستجابة، إليك المصير: استشعار قرب اليوم الآخر المحتوم فإنه مما يسهل الطاعة ويعين على العمل، حتى ولو أيقن العبد عجزه عن الامتثال ينبغي أن يُعلن الانقياد والإذعان لأمر الله كما حصل هنا] قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير [سرعة انقيادهم مع أن إشكالهم لم يُحل وهذا هو تعظيم الأمر

[42] - رواه مسلم.

[43] - الوابل الصيب.

والنهي] **فلما اقْتَرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: {** **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** } **فلما فعلوا ذلك نسخها الله - تعالى** - [أي نسخ الحكم بالمحاسبة على الخواطر وحديث النفس وهذه ثمرة تعظيم الأمر والنهي: القبول والتيسير] **فأنزل الله - عز وجل- :** {**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** } ([44]).

2- وعن ابن عباس رضي الله عنهما " **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال: يعمدُ أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده** "، فقيل للرجل بعدما ذهب النبي - صلى الله عليه وسلم -: خذ خاتمك انتفع به فقال: لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ([45]).

3- قال أنس - رضي الله عنه -: " **كان رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه سلم يقال له جليبيب في وجهه دمامة فعرض عليه رسول الله التزويج** فقال: إذاً تجدني كاسداً، فقال صلى الله عليه وسلم: " **غير أنك عند الله لست بكاسد** " فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يتحين الفرص لتزويج جليبيب، حتى جاءه رجل من الأنصار يوماً يعرض ابنته على رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: **نزوجها جليبيب !!** يا رسول الله حتى أستأمر امها، فأتى الرجل زوجته وقال: إن رسول الله يخطب ابنتك لجليبيب !!

قالت: حلقى !! لجليبيب، لا لعمر الله لا أزوج جليبيباً وقد منعناها فلاناً وفلاناً فاغتم أبوها لذلك وقام ليأتي رسول الله فصاحت الفتاة من خِدرها بأبويها: من خطبني إليكما ؟

قالا: رسول الله، قالت: أتردان على رسول الله أمره ادفعاني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني، فكأنما جَلّت عنهما.

فذهب أبوها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: يا رسول الله شانك بها زوّجها من تشاء فزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - جليبيباً ودعا لها وقال: " **اللهم صُبَّ عليهما الخير صباً ولا تجعل عيشهما كداً كدا** " فلم يمض على زواجه أيام حتى خرج النبي - صلى الله عليه

---

[44] - رواه مسلم، وما بين القوسين من تعليقاتي على رياض الصالحين: المسك والعنبر والرياحين، تنبيهات وفوائد على....رياض الصالحين.

[45] - روه مسلم.

وسلم - في غزوة وخرج معه جليبيب فلما انتهى القتال وبدأ النـاس يتفقـد بعضهم بعضـاً، سـألهم -صـلى اللـه عليـه وسـلم – " **هل تفقـدون من أحد ؟** " قالوا: نفقد فلاناً وفلاناً، ثم قال: " **هـل تفقـدون من أحـد ؟** " قالوا: نفقد فلاناً وفلاناً، ثم قال " **هل تفقدون من أحد ؟** " قالوا: نفقـد فلاناً وفلاناً، قال: " **ولكني أفقد جليبيب** "، فقاموا يبحثون عنه فوجدوه إلى جنب سبعة من المشركين قد قتلهم ثم قتلـوه، فوقـف النـبي - صـلى الله عليه وسـلم - ينظـر إلى جسـده ويقـول: " **قتل سـبعة ثم قتلـوه قتل سبعة ثم قتلوه هـذا مـني وأنـا منه** " ثم حملـه على سـاعديه وأمرهم أن يحفروا له قبره،

قال أنس: فمكثنا نحفر القبر وجليبيب ما له سرير غير ساعِدَي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، حتى حُفر له ثم وُضع في لحده، قال: فوالله مـا كـان في الأنصـار أيِّم أنفـق منهـا تسـابق الرجـال إليهـا كلهم يخطبهـا بعـد جليبيب " ([46]).

فسلام على جليبيب يـوم تـرك عروسـه الـتي لم يمض عليهـا سـوى أيـام قلائل ليلبي نداء الله ورسوله، وسلام على تلـك اللؤلـوة المصـونة يـوم أن استجابت لأمر الله ورسوله.

4- عن أنس رضي الله عنه قال: إني لقائم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر ؟ قالوا: وما ذاك ؟ قال: حُرمت الخمر، قالوا: أهـرق هـذا القلال يـا أنس، قـال: فمـا سـألوا عنهـا ولا راجعوها بعد خبر الرجل " ([47]).

وفي رواية له: " فأمر رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم مناديـاً: " ألا إن الخمر قد حُرِّمت قال: فقال لي أبـو طلحـة: " اخـرج فاهرقهـا " فخـرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة "

قـال الحافـظ ابن حجـر: " وفيـه إشـارة إلى تـوارد من كـانت عنـده من المسلمين على إراقتها حتى جرت في الأزقة من كثرتها " ([48]).

وثم هذا كله من غير قيل وقال، وتردد واستفسار، وكانوا قد تعـودوا عليهـا منذ سنوات بل كانت قد ورثوها عن آبائهم.([49]).

هذا هو حقيقة التعظيم لله العظيم، تعظيم الأمر والنهي،
هل إذا قيل لك اليوم: تخلص من علاقتك المحرمة بفلانة،
أو تخلص من الصحبة السيئة التي جَرّتك إلى الهاوية،
أو الزم كذا فإن الله قد أمر به،
هل ستقول: سمع وطاعة تعظيماً لله تعالى ؟

[46] - أخرجه أحمد في المسند وصححه الألباني في أحكام الجنائز.
[47] - رواه البخاري.
[48] - فتح الباري.
[49] - صلاح الأمة في علو الهمة: سيد عفاني.

تعظيم الصلاة:

كيف لا نعظم الصلاة ؟

وهي أول ما نحاسب عليها بين يدي الله:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضة قال الرب: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك** "([50]).

وقد فرضت في ليلة عظيمة في مكان عظيم:

فالصلاة خُصت من بين فرائض الإسلام وعموم الطاعات أن الله تعالى فرضها على نبيه ليلة أسريَ به في السماء السابعة،

فعن أنس - رضي الله عنه - قال: فُرضت على النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلوات ليلة أُسرِيَ به خمسين، ثم نُقِصت حتى جُعلت خمساً، ثم نودي: يا محمد إنه لا يُبَدّل القول لدّي وإن لك بهذه الخمس خمسين " ([51]).

بينما عموم الطاعات وجميع الفرائض والعبادات كان جبريل عليه السلام ينزل بها إلى النبي

- صلى الله عليه وسلم -، يوحي إليه بها، وهذا يبين مكانة الصلاة عند الله.

والوصية بها كان آخر كلام لرسول الله - صلى الله عليه وسلم :-

فقد اقتصر النبي - صلى الله عليه وسلم - في رمقة الأخير ساعة وداعه الدنيا على الوصاية بها ([52]).

فعن عليّ - رضي الله عنه - قال: " كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم: **الصلاة الصلاة**..." ([53]).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: " كانت عامة وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه: **الصلاة الصلاة....**" ([54]).

والصلاة شعار المسلم:

---

[50] - رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني.

[51] - رواه أحمد وقال محقق المسند: صحيح على شرط الشيخين.

[52] - لماذا لا نصلي: محمد اسماعيل المقدم.

[53] - رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

[54] - رواه ابن ماجه وصححه الألباني في الإرواء.

فقد قال - صلى الله عليه وسلم -: " **من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله...**" ([55]).

وعن بشر بن محجن عن أبيه: " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأُقيمت الصلاة فجلست فلما صلّى، قال لي: **ألست بمسلم** ؟ قلت: بلى، قال: **فما منعك أن تصلي مع الناس** ؟ قال: صليت في أهلي، قال: **فصل مع الناس ولو كنت قد صليت في أهلك** " ([56]).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " **يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً** " ([57]).

فبالسجود يميز الله - عز وجل - المؤمنين من المنافقين، وفي ذلك قال تعالى: {**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ** } " [القلم: 42- 43] ([58]).

وعن أمامة - رضي الله عنه - قال: لَتُنقضَنَّ عُرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة " ([59]).

" والشيطان – أعاذنا الله منه_ يحرص كل الحرص على صرف المسلم عن هذه الصلاة لعلمه أن المسلم إذا انصرف عنها انصرف عن بقية أحكام الدين وضاع منه الخير " ([60]).

فليس بعد الصلاة إسلام ولا دين لأن الصلاة أول الإسلام وآخره وما ذهب أوله وآخره فقد ذهب جمعه " ([61]).

والصلاة هي الميزان:

وأهم أمور الدين الصلاة، فمحلها من الدين محل الروح من الجسد، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له فكذلك لا دين لمن لا صلاة له.

---

55 - رواه البخاري

56 - أخرجه مالك وعنه أخرجه النسائي والدار قطني والبيهقي وصححه الألباني في الإرواء.

57 - رواه البخاري.

58 - لماذا نصلي ؟ محمد اسماعيل المقدم.

59 - أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

60 - تعظيكم لصلاة: عبد الرزاق البدر.

61 - لماذا نصلي ؟ محمد اسماعيل.

يقول صلى الله عليه وسلم: **" رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله "** ([62]).
وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلاً قال – لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم -: يا رسول الله اتق الله !
فقال : **" ويلك ! ألست أحقَّ أهل الأرض أن أتقي الله** ؟ "
فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: ألا أضرب عنقه يا رسول الله ؟
فقال: **" لا لعله أن يكون يصلي "** ([63]).
كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يكتب إلى الآفاق: " إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها فقد حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة " ([64]).
فكل مستخف بالصلاة مستهين بها فهو مستخف بالإسلام مستهين به وإنما حظهم في الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة، فاحذر نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك " ([65]).
وعن المسور بن محرمة – رضي الله عنه - قال: دخلت على عمر - رضي الله عنه - وهو مسجىً فقلت كيف ترونه ؟ قالوا: كما ترى، قلت: أيقظوه بالصلاة فإنكم لن توقظوه بشيء أفزعَ له من الصلاة، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين ! فقال: " ها الله إذاً، ولا حق في الإسلام لمن ترك الصلاة " فصلى وإن جرحه ليثعب [لينزف] دماً " ([66]).

والصلاة أمينة الأموات:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: مَرّ النبي - صلى الله عليه وسلم – على قبر بُنيَ حديثاً فقال: **" ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم "** ([67]).
أمنية الأموات أن يرجعوا إلى الدنيا فيركعوا ركعة أو يسجدوا سجدة أو يصلحوا ما فاتهم.
قال إبراهيم بن يزيد العبدي:" أتاني رياح القيسي فقال: يا أبا إسحق انطلق بنا إلى أهل الآخرة، نُحدِث بقربهم عهداً، فانطلقت معه فأتى أهل المقابر، فجلسنا إلى بعض تلك القبور، فقال: يا أبا سحق ! ما تَرى هذا

62 - رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.
63 - متفق عليه.
64 - الصلاة وحكم تاركها: ابن القيم.
65 - تعظيم الصلاة: عبد الرزاق البدر نقلاً من الصلاة للإمام أحمد.
66 - أخرجه الطبراني في الأوسط وابن أبي شيبة في المصنف وابن بطة في الإنابة.
67 - روا الطبراني في الأوسط وصححه الجامع وانظر الصحيحة.

متمنياً لـو مُنِّيَ ؟ فهـا نحن، ثم نهض فجـدّ واجتهـد، فلم يلبث يسـيراً حـتى مات.([68])

قال الله تعالى: {**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَـدَهُمُ الْمَـوْتُ قَـالَ رَبِّ ارْجِعُـونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَـرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَـا كَلِمَـةٌ هُـوَ قَائِلُهَـا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** } [المؤمنون:99-100]

---

[68] - ذم الهوى: ابن الجوزي، إيقاظ أولي الهمم العالية.: السلمان.

والصلاة سعادة وراحة وقرة عين:

الصلاة راحة نفسية وطمأنينة روحية، ولو فقِه أطباء الصحة النفسية لصدَّروا الصلاة في مقدمة ما يصفونه لمرضاهم من العلاج، فهي وجبات روحية وحقن صحية شرعها خالق البشر لا يعلم أسرارها إلا هو.([69]).

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " **يا بلال ! أقم الصلاة أرحنا بها** " ([70]).

وكان يقول: **" حُبب إليّ من دنياكم: النساء والطيب وجُعلت قرة عيني في الصلاة "** ([71]).

فتأمل: تجد أن المحبة في النساء والطيب، ولكن تمام قرة العين ومنتهى السعادة والطمأنينة والسكون الروحي يكون عند النبي - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة.

وكانت الصلاة كذلك عند أصحابه - رضي الله عنهم - حتى أن ذلك كان معروفاً عند المشركين.

فعن جابر - رضي الله عنه - قال: غزونا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوماً من جهينة فقاتلوا قتالاً شديداً....... وقالوا – أي المشركين -: إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد " ([72]).

وقد أُمِرْنا بتعظيمها والمحافظة عليها:

قال تعالى: {**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** } [البقرة:238].

وقال تعالى: {**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** } [المؤمنون:9،11]

وقال تعالى: { **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ** } المعارج:34،35].

وذُكرت الصلاة عند النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً فقال: " **من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهاناً ولا نجاةً يوم القيامة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبيّ بن خلف** " ([73]).

---

[69] - لماذا لا نصلي ؟ محمد اسماعيل: بتصرف.

[70] - رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع.

[71] رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي وصححه الأباني في صحيح الجامع.

[72] - رواه مسلم.

[73] - أخرجه احمد وغيره وحسنه محقق المسند.

أي أن تارك الصلاة غير المحافظ عليها على إما أن يشغله ماله أو ملكه أو رئاسته أو تجارته، فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبيّ بن خلف.
وقال صلى الله عليه وسلم: **" من ترك صلاةً مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله "** ([74]).
أي لا يكون في أمنٍ من الله تعالى في الدنيا ولا في أمن منه في الآخرة.

كيف نُعظم الصلاة ؟

أن نعظم وقتها:
فلا يزاحمها في وقتها شيء ؛ لأن الله تعالى قال: { **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا** } النساء: 103.
قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: " **إن للصلاة وقتاً كوقت الحج** " ([75]).
قال مجاهد: وقّته الله عليهم ([76]).
وقال تعالى – بعد أن ذكر جملة من الأنبياء والصالحين -: {**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** } مريم:59
قرأ عمر بن عبد العزيز هذه الآية ثم قال: لم تكن إضاعتهم لها تركها ولكن أضاعوا الوقت ([77]).
وقال تعالى: {**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**} [الماعون:4،5]
قال ابن عباس - رضي الله عنه -: " الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها "([78]).
وعنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " **من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر** " ([79]).
وعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **" ألا أخبركم بصلاة المنافقين ؟ يَدَعَ العصر حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقَر كنقرات الديك لا يذكر الله فيهن إلا قليلاً "** ([80]).

---
74 - أخرجه احمد وقال الألباني في صحيح الترغيب : حسن لغيره.
75 - تفسير الطبري.
76 - اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين الدمشقي.
77 - تفسير الطبري.
78 - تفسير الطبري.
79 - رواه الحاكم وابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع.
80 - رواه ابن حبان وصححه الألباني.

وفي رواية مسلم: " **تلك صلاة المنافقين يجلس يـرقب الشـمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قـام فنقرهـا أربعـاً لا يـذكر الله فيها إلا قليلا** ".
ولأجل ذلـك كـان السـلف - رضـي اللـه عنهم - يعظمـون وقت الصـلاة فلا يشغلهم عن أدائها في أول وقتها شيء.
يقول سعيد بن المسيب: " مـا دخـل عليّ وقت صـلاة إلا وقـد أخـذت أهبتها.." ([81]).
وكان ابراهيم المروزي من الـذين يمتهنـون صـياغة الـذهب فكـان إذا رفـع المطرقة فسمع النداء ألقاها ولم يرد. ([82]).
وكان عامر بن عبد الله بن الزبير – وهـو يجـود بنفسـه – إذا سـمع النـداء. قـال: خـذوا بيـدي، فيقـال: إنـك عليـل، فيقـول: أسـمع داعي اللـه فلا أجيبه ؟..." ([83]).

أن نحافظ على جماعاتها:
كيف لا؟
وفي ميدان الجهاد، في ساحة القتال الدماء نازفة والقلوب واجفة مع ذلـك لم يرخص الرب جل جلاله أن يصلي المسلمون فرادى، بل أمـر اللـه نبيـه أن يصلي بطائفة من الجيش في الوقت الذي تحرس الطائفة الأخرى التي تصلي، ثم إذا صلت الأولى، تـأتي الثانيـة وتصـلي وراءه وتحرسـها الأولى، وهذا لا يدل إلا على تعظيم قدر الصلاة.
قال تعـالى: {**وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّـلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَـةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَـكَ وَلْيَأْخُـذُوا حِـذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ**} النساء: 102.
فإذا كان ذلك في حال الحـرب والخـوف فكيـف يكـون الأمـر في المسـلم والأمن ؟
ولهذا جاء عبد الله بن أم مكتوم رضـي اللـه عنـه – جـاء الرجـل الأعمى – جاء يسأل النبي
- صلى الله عليه وسلم - أن يصلي في بيته، جاء يقول: " أنـا رجـل ضـرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني والمدينة كثيرة الهوام والسباع فهل أصلي في بيتي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم – وقد تغافل عن هذه الأعذار الفعلية، لكن لها حلول -: " **هل تسمع النداء ؟** " قال: نعم، قال: فأجاب لا أجد لك رخصة " ([84]).

81 - بصائر في تعظيم الشريعة والشعائر: سيد عطوة.
82 - إحياء علوم الدين للغزالي.
83 سير أعلام النبلاء.
84 - رواه أحمد وأبو داود وابن ماجهوصححه الألباني.

وهذا لا يدل إلا على تعظيم قدر الصلاة.
فيا من سمع النداء وأنت صحيح البدن !! آمن من الخوف !! وقد يكون المسجد بجانب بيتك، ثم تُدعى فلا تجيب وتؤمر فلا تمتثل، وتعصي فلا تتوب ما عذرك بين يدي الله غداً ؟
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: **" ولقد هممت آمر بالصلاة فتقام ثم آمرَ رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حُزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرِّق عليهم بيوتهم بالنار "** ([85]).
وهذا لا يدل كذلك إلا على تعظيم قدر الصلاة.
وقال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-: من سرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادي بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتموها لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف "([86]).
وعن عبد الله بن جعفر أن عمر بن الخطاب أتى إلى منزل سعيد بن يربوع يعوده في فقده لبصره، فقال له عمر: " لا تدع الجمعة ولا الصلاة في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال الرجل: ليس لي قائد، فقال عمر: نبعث لك بقائد، فبعث إليه بغلام من السبي " ([87]).
وكان سن سعيد في ذلك يقارب المائة !! فماذا يقال لمعاشر الشباب الأصحاء الأقوياء المبصرين ؟
وكان سليمان بن حمزة المقدسيّ – وهو من ذرية ابن قدامة، وصاحب المغني -: " لم أصلِّ الفريضة قط منفرداً إلآ مرتين وكأني لم أصلهما " وكان قد قارب التسعين سنة " ([88]).

أن نحسن الوقوف فيها بين يدي الله:

الخشوع في الصلاة هو المقصود من الصلاة، هو روح الصلاة، فالصلاة النافعة هي الصلاة الخاشعة، قال تعالى: {**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** }[المؤمنون:1،2]
قال ابن عمر: " كانوا إذا قاموا في الصلاة أقبلوا على صلاتهم وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم وعلموا أن الله يُقبل عليهم فلم يلتفتوا يميناً ولا شمالاً " ([89]).

---
85 - متفق عليه.
86 - رواه مسلم.
87 - رواه الحاكم في المستدرك.
88 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد لحيّ العكري الحنبلي.
89 - الدر المنثور للامام السيوطي.

فـإذا وقفت في الصـلاة: تفهم مـا تقـول، واستشـعر مناجـاة اللـه واحـذر شيطان الصلاة ودافع عنك الشواغل، وصل صلاة مودِّع.

قال صلى الله عليـه وسـلم: **" ما من أحـد يتوضـأ فيحسـن الوضـوء ويصلي ركعتين يُقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة "** ([90])

وفي المقابل:

يقول صلى الله عليه وسـلم: **" إن الرجل لينصـرف من صـلاته ومـا كتبت له إلا عشرها وتُسعها وثمنها وسبعها وسدسها وخمسـها وربعها وثلثها ونصفها "** ([91]).

" سئل كُثير بن عبد الله الحمصيّ عن سبب عدم سهوه في الصلاة – وقـد أمّ أهل حمص ستين سنة – فقال: ما دخلت باب المسجد قط وفي نفسي غير الله " ([92]).

تأتي الصلاة في فتور وكأنك قد دُعيت إلى البلاء

وإن أديتها جاءت بنقص لما قـد كـان من شرك الرياء

وإن تخلــو عن دراك فيهــا تُــدبر للأمــور بالارتقاء

وياليت التدبر في مباح * ولكن في المشقة والشقاء**

ولو كنت المجالس يوماً أنثى * قطعت الوقت من غير اكتفاء**

أن نجعلها عظيمة في بيوتنا وعند أبنائنا:

روى الإمـام مالـك – رحمـه اللـه عن زيـد بن أسـلم عن أبيـه أن عمـر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان يصلي من الليـل مـا شـاء اللـه، حـتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصـلاة يقـول لهم: الصـلاة الصـلاة، ثم يتلـو هذه الآية: {**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّـلَاةِ وَاصْـطَبِرْ عَلَيْهَـا لَا نَسْـأَلُكَ رِزْقًـا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى }** طه: 132 " ([93]).

---

90 - رواه مسلم.

91 - رواه أحمد وأبو داود وغيرهما بسند صحيح.

92 - شروق أنوار المنن الكبرى الإلهية بكشف أسرار السنن الصغرى النسائية: مختار الشنقيطي ت/ 1405.

93 - الموطأ، وصححه الألباني في تخريج المشكاة.

وتأمل في هذا المقام ثناء الله تعالى على نبيه اسماعيل، قال جل شأنه: {**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا** } مريم: 55.

وتأمل دعاء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام: {**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** }ابراهيم:40.

ولأجل هذا جاء التوجيه النبوي:

" مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر..." ([94]).

إن مقام الصلاة مقام عظيم، وإذا نظر الناظر وتأمل المتأمل في واقع بيوتنا علم أن التفريط في الغالب جاء من قبل الآباء، فكان الأب في نفسه مضيعاً للصلاة ففقد الولد القدرة ونشأ مضيعاً للصلاة !!

وما جنى أب على أولاده كما جنى عليهم بمثل ذلك، فالجناية في هذا الباب جناية عظيمة.

قال ابن القيم – عليه رحمة الله -:

" فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سُدى فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليم فرائضَ الدين وسننه فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً " ([95]).

وكان أبو الدرداء يقول لولده: يا بني ليكن المسجد بيتك فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **" إن المساجد بيوت المتقين، فمن كان المسجد بيته ضمن الله له بالرَّوح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة "** ([96]).

[94] رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه الألباني.

[95] - تحفة المودود.

[96] - الزهد اهناد السري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري.

أن نتواصى بها فيما بيننا:

لأن " **الدين النصيحة** " كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ([97]).

ولما كانت منزلة الصلاة في الدين كما أوضحنا، فإن واجب المسلم إذا رأى من يُقصِّر في صلاته ويُخلُّ بها أن ينصحه ويُعلمه.

قال ميمون بن مهران: " مثل الذي يرى الرجل يسيء في صلاته فلا ينهاه، مثل الذي يرى النائم تنهشه حية ثم لا يوقظه " ([98]).

ويُنسب إلى الامام أحمد – رحمه الله – أنه قال:

" واعلموا أنه لو أن رجلاً أحسن الصلاة فأتمها وأحكمها ثم نظر إلى من أساء في صلاته وضيّعها وسبق الإمام فيها، فسكت عنه ولم يعلمه إساءته في صلاته ومسابقته الإمام فيها ولم ينهه عن ذلك ولم ينصحه شاركه في وزرها وعارها فالمحسن في صلاته شريك المسيء في إساءته إذا لم ينهه ولم ينصحه " ([99]).

وعن فضيل بن عياض قال: رأى مالك بن دينار رجلاً يسيء صلاته، فقال: ما أرحمني بعياله ! فقيل له: " يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته وترحم عياله ؟ ! قال إنه كبيرهم ومنه يتعلمون " ([100]).

---

[97] - متفق عليه.

[98] - شعب الإيمان للبيهقي.

[99] - طبقات الحنابلة: أبو الحسين ابن أبي يعلى.

[100] - صفة الصفوة: ابن الجوزي.

ومن علامات تعظيم الله جل جلاله:

تعظيم القرآن العظيم:

القرآن كلام الله، وحق كلام العظيم أن يكون عظيماً.

وتعظيم القرآن العظيم يكون بتعميق وتحسين وتقوية العلاقة به، ولهذا رأينا الله تعالى أكثر ونوّع من التوجيهات لتحين العلاقة بكتابه.

فتارة يحثنا على التدبر {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** } محمد:24، وتارة يحثنا على الإنصات إليه

{ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا** }الأعراف: 204، وتارة يأمرنا بالتفنن في الأداء الصوتي الذي يخلب الألباب لتقترب من معاني القرآن {**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا** }المزمل:4، وتارة يأمرنا بالتهيئة النفسية قبل قراءته بالاستعاذة من الشيطان لكي تصفوا نفوسنا لاستقبال مضمينه {**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** } النحل: 98،

وتارة يغرس في نفوسنا استبشاع البعد عن القرآن { **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } [الفرقان 30]** كل ذلك ليرسخ علاقتنا بالقرآن "([101]).

كيف نعظم القرآن ؟

أن نعرف: لماذا أنزل الله القرآن ؟

أنزل الله القرآن لينذر الناس، ليزكيَ نفوسهم، ليصلح قلوبهم وأحوالهم، قال تعالى: { **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** } الفرقان:1.

وقال تعالى: {**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** } البقرة: 2

وقال تعالى: { **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ** } البقرة: 185.

فالقرآن هدى لعموم الناس بمعنى أنه يبين لهم طريق الرشاد، وهو هدى للمتقين بمعنى أنهم ينتفعون به ويستفيدون منه ويستضيئون بنوره " ([102]).

[101] - الطريق إلىالقرآن: ابراهيم السكران.

[102] - التربية بالمجاهدة للمؤلف.

أن نتلوه حق تلاوته:
جعل الله تعالى ذلك عنوان الإيمان حين قال: { **الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ** } البقرة:121.
وقد فسّر ابن عباس وابن مسعود – رضي الله عنهما – والحسن وقتادة – رحمهما الله – التلاوة هنا بالعمل والاتباع ([103]).
وجزاء ذلك يوم القيامة ما بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: " **يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها** " ([104]).
أن يستشعر التالي لكتاب الله أو السامع له أنه هو المخاطب ([105]).
قال ابن مسعود – رضي الله عنه -: إذا سمعت يا أيها الذين آمنوا فاصغ لها سمعك فإما أن خيراً تؤمر به أو شراً تُنهى عنه.
وقال الحسن بن علي –رضي الله عنهما -: " إن من كان قبلكم رأو القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها بالنهار " ([106]).
فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن كالمرآة يرى فيها ما حسن من فعله وما قبح منه فما حذّره مولاه حذَره وما خوّفه خافه وما رغَّبه فيه رغب فيه، فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته ورعاه حق رعايته وكان له القرآن شاهداً وشفيعاً وأنيساً وحِرزاً، ومن كان هذا وصفه نفع نفسَه ونفع أهلَه وعاد على والديه وولده كلُّ خير في الدنيا والآخرة " ([107]).
وقال ابن القيم –رحمه الله – إذا أردت الإنتفاع بالقرآن فاجمع له قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك واحضَر حضور من يخاطبه من تكلم به سبحانه منه إليه فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ([108]).
وكلما ازداد تدبر العبد وتأمله لكتاب ربه ازداد علماً وعملاً وبصيرة وفهماً فإن القرآن عظيم ومبارك، وكلما كان العبد أكثر انشغالاً به كلما حلت عليه الخيرات وكثرت لديه البركات وازدادت له عند ربه الحسنات وارتفعت له في الجنة الدرجات.

103 - تفسير القرطبي.
104 - رواه الترمذي وصححه الألباني.
105 - النصيحة لكتاب الله: حافظ الحكمي.
106 - التبيان: النووي.
107 - أخلاق حملة القرآن: الآجري.
108 - الفوائد.

العمل به والتحاكم إليه:

وهذا أساس الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، وهو مقصود التلاوة والحفظ ةالتدبر { **وَهَـذَا كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ مُبَـارَكٌ فَـاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُـوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** } الأنعام: 155.

وقال صلى الله عليه وسلم: " **يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهلِه الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو ظلتان تحاجان عن صاحبهما** " ([109]).

وقال صلى الله عليه وسلم وهو يخطب في مرجعه من حجة الوداع: " **أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه فقد ضل** " ([110]).

وسئلت عائشة – رضي الله عنها – عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالت للسائل:" **ألست تقرأ القرآن ؟ قال: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله كان القرآن** " ([111]).

وهذا الذي ندعو كل الحكومات الإسلامية اليوم إليه، فلا بد من التحاكم إلى القرآن ولا بد من نبذ كل ما سواه من قوانين غربية غريبة عن الناس فإلم تصنع الدول ذلك فلا فلاح لها ولا نجاح. (هذا هو القرآن:محمد موسى الشريف)

تكريم أهله واحترام حملته وتوقير العاملين به والداعين إليه:

قال صلى الله عليه وسلم: " **إن من إجلال الله تعالى إجلال ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير المتغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط** " ([112]).

وعن نافع بن حبان عبد الحارث أنه لُقِي عُمرَ بن الخطاب – رضي الله عنه – بعُسفان، وكان عمرُ استعمله على مكة، فقال له عمر: من استخلف على أهل الوادي ؟ قال: استخلف عليهم ابنَ أبْزَى. فقال: وما ابن أبزى ؟ فقال: رجل من موالينا. فقال عمر: استخلفت عليهم مولى ؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالمٌ بالفرائض قاضٍ. فقال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: " **إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين** " ([113]).

يرفع به من عظموه ورفعوه ووقروه ويضع به من أهملوه وراء ظهورهم نبذوه.

---

109 - رواه مسلم.

110 - رواه مسلم وغيره.

111 - رواه مسلم.

112 - رواه أبو داود وصححه الألباني.

113 - رواه مسلم وأحمد واللفظ له.

أخي الكريم.. أختي الكريمة

كم من الوقت نعطي للقرآن كل يوم ؟ كم يأخذ القرآن من ليلك ؟

يجب أن تسأل نفسك يومياً هذا السؤال وتقارن بين ما تخصصه من الوقت للقرآن بأمور حياتك الأخرى، وتنظر هل هي قسمة عادلة ؟ وهل أعطيت القرآن ما يستحقه من الوقت ؟

هل وضعت القرآن على قائمة أولوياتك ؟ هل فكرت مرة أن تذاكر القرآن كما تذاكر الكتاب الدراسِي بجد واجتهاد ؟ !

هل يليق بنا أن نتصفح يومياً عشرات التعليقات والأخبار والإيميلات والمقالات، ومع ذلك ليس لكتاب الله نصيب من يومنا ؟

هل كتب الناس أعظم من كتاب الله ؟

هل كلام المخلوقين أعظم من كلام الخالق ؟

ثم بعد ذلك نزعم أننا قد أعظمنا الله ؟ !!

ومن علامات تعظيم الله ؟ !!

تعظيم سنة النبيّ صلى الله عليه وسلم:

كيف لا ؟ والسنة والقرآن صنوان وأخوان لا يفترقان

قال تعالى: { **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**} النجم: 3،4، وقال تعالى: {**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** } النساء: 59.

وقال تعالى: {**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا** } الأحزاب: 34.

وقال تعالى: { **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا }** النساء: 80.

وقالت تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ** } الأنفال:20

ولهذا كانت دعوى الاستغناء عن السنة بالقرآن دعوى باطلة وخبيثة وراءها أعداء الإسلام ومحاربوه.

يقول صلى الله عليه وسلم: " **يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدِّث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حَرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلُ ما حَرّم الله** " [114].

[114] - رواه ابن ماجه والترمذي وأحمد وغيرهم وصححه الألباني.

وفي رواية: " **ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه** " ([115]).
وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيّرات خلق الله، فجاءته امرأة فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: مالي لا ألعن من لعن رسول الله ومن هو في كتاب الله. فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأيته لقد وجدتيه، أما قرأت {**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** } قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه.
قالت: إني أرى بعض هذا على امرأتك، قال: فادخلي فانظري، فدخلت ثم خرجت، فقالت: ما رأيت، فقال: لو كان ذلك ما كانت معنا ([116]).
فالسنة جاءت مفسرة للقرآن مبينة له، قال تعالى: { **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** } النحل:44.

كيف نعظم السنة ؟

ألا نقدم قولاً عليها ولا نتكلم بين يديها:
وهذا هو معنى قول الله تعالى: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** } الحجرات:2.

- وكان عبد الله بن عباس يُفتي بجواز التمتع بالعمرة إلى الحج فقيل له ولكنّ أبا بكر وعمر يقولان بخلاف قولك ؟ فاشتد غضبه وقال: يوشك أن تُرجموا بحجارة من السماء، أقول: قال الله قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر " ([117]).
- فكيف بمن يصادم السنة بآراء من لا خلاق لهم ولا علم عندهم إلا أثارةً يغرون بها الجاهلين؟!

ومن هنا قال الشافعي – رحمه الله -: " أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنةُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يحل له أن يدعها لقول أحد من الناس " ([118]).
أن نتمسك بها ونعض عليها بالنواجذ
قال تعالى: { **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** } الحشر: 7
وقال تعالى: محذراً من مخالفتها: { **الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** } النور: 63.

---

[115] - رواه أحمد وأبو داود.
[116] - رواه أبو داود وانظر السلسة الصحيحة للألباني.
[117] - جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر.
[118] - الرسالة.

وعن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال: " وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله: كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: " **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ...**" ([119]).

وهذا أبو بكر – رضي الله عنه – يقول: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعمل به إلا عملت به وإني لأخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ " ([120]).

ومن علامات تعظيم الله تعالى:

تعظيم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -:-

كيف لا نعظمهم ؟

- وقد شهد الله تعالى بصدقهم ورضي عنهم ووعدهم الجنة:

وحين يشهد العليم بالنوايا الخبير بالخفايا بصدق هؤلاء كان واجباً علينا ان ننظر في حياتهم لنسير سيرهم وننتهج نهجهم ونتشبه بهم.

فالسير على هديهم ينير لنا الطريق، ومعرفة فقه سيرتهم يعالج جراح الأمة، من سيرتهم تتعلم الأمة فنون الإيمان وفهم العقيدة ونصرة الدين.

قال تعالى: { **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } التوبة:100.

وقال تعالى: {**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } الحشر: 9.

فلا سبيل إلى جنة الله ورضوانه إلا بأخذ منهجهم فكل خير في اتباعهم وكل شر في الإعراض عن هديهم.

قال تعالى: {**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ**} البقرة: 137.

فهم المعيار السديد والميزان الرشيد لاستيعاب الكتاب والسنة وفهم هذا الدين العظيم.

---

119 - رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم وصححه الألباني.

120 - متفق عليه.

قال صلى الله عليه وسلم: **" خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته "** ([121]).
فهذه شهادة نبوية من الصادق المصدوق - عليه الصلاة والسلام - لهؤلاء الصحب الكرام بأنهم خير القرون بل خير الناس.
وقال صلى الله عليه وسلم: **" افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإحدى وسبعون في النار والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار " قيل: يا رسول الله من هي ؟ قال: الجماعة "** ([122]).
وفي لفظ: **" ما أنا عليه اليوم وأصحابي "** ([123]).
وقال صلى الله عليه وسلم: **" وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اخلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها** بالنواجذ..." ([124]).
وقال عبد الله بن مسعود: من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أبرّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قد اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم "
ورُى مثله عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -.

ومن علامات تعظيم الله تعالى:

توقير العلماء واحترامهم:

قال تعالى: { **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** } المجادلة: 11.
والمعنى أن المؤمن العالم يرفعه الله تعالى على المؤمن غير العالم درجات، ومن لوازم ذلك أن نرفع من رفعه الله تعالى وأن نوقر من أظهر الله فضله.
العلماء هم قلب الأمة وعقلها وروحها الزكية التي تملأ جسد الأمة بالإيمان والهداية وترفع عنها الجهالة والغواية.

---

121 - متفق عليه.
122 - رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.
123 - رواه الترمذي وحسنه الألباني.
124 - رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

فاحترامهم وتوقيرهم احترام للدين وتعظيم لشعائره بل وتعظيم للــه، فهم أحق الخلق بولاية الله لهم.
قال تعالى: { **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُــونَ** } يونس: 62.
قال الشافعي رحمه الله " إن لم يكن العلمـاء هم أوليـاءَ اللــه فليس لله وليّ " ([125]).

- **عن الشعبي قال:** " صلّى زيد بن ثابت على جنازة ثم قُرِّبت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد: " خلِّ عنك يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا يُفعل بالعلماء والكبراء " ([126]).
- **وعن الربيع بن سليمان قال:** " والله ما اجـترأت أن أشـرب المـاء والشافعي ينظر إليّ هيبةً له " ([127]).
- جلس هارون الرشيد – أمير المؤمنين – في بيت الإمـارة وطلب الإمـام مالك ليأتي بموطئه ليقـرأه عليـه وعلى الأمين والمـأمون ابـني هـارون، فنظر إليه مالك وقال: يا أمير المؤمنين إن العلم يؤتي إليـه، فاسـتوعب هـارون الرشـيد، وجـاء إلى بيت الإمـام ووقـف على البـاب مسـتئذناً، فأخبرت الجاريـة مالـك بـأن هـارون الرشـيد أمـير المؤمـنين على بـاب البيت، فذهب مالك واغتسل وارتدى خير ثيابه وتطيّب، كل هذا وهـارون على الباب، فأذن له فلما دخل، قال: ما هذا يا مالك ؟ طلبناك فامتنعت علينا، فجئناك حبستنا على بابك !!

قال: أخبرتك أن العلم يؤتى إليه، أما أني حبستك على الباب فصحيح، لأني حينمـا أخـبرت أنـك تـأتي لم أكن أعلم في أي وقت، وعلمت أنـك لا تـأتي لمالك لا لجاه ولا لشيء إلا للعلم فأردت أن أكون على أحسـن هيئـة وأنـا أدارسك العلم ([128]).
فما أسوأ أن يتطاول السفاء وأحداث الأحلام على العلماء الأعلام !!
والله ما أخبثها من طريقة تُفضي إلى هدم الدين وتحطيم رموزه.
فليعلم كل من سولت له نفســه أن يتكلم في العلمـاء لينتقص من قـدرهم وليصـد النـاس عنهم أنـه على خطـر عظيم ويُخشـى عليـه سـوء الخاتمـة والعياذ بالله.
قال الإمام أحمد " لحوم العلماء مسمومة من شمّها مـرض ومن أكلهـا مات " ([129]).

---

125 - الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي.
126 - سير اعلام النبلاء، صفة الصفوة.
127 - المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي.
128 - شرح الرجبية: عطية محمد سالم.
129 - المعيد في أداب المفيد والمستفيد: العلموي.

وقال الحافظ ابن عساكر: ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب " ([130]).
وقال مالك بن دينار: " كفى بالمرء شراً ألا يكون صالحاً وهو يقع في الصالحين " ([131]).
لا يعيب أهل العلم إلا معيب ولا يبحث عن زلات العلماء إلا مخذول جاهل ولا يتبع عوراتهم إلا مريض القلب خبيث النية، فلنعرف لأهل الفضل فضلهم ولنحفظ لأهل العلم مكانتهم فهم أولى الناس بحسن الظن والاحترام والتوقير.

الناس من جهة التمثال أكفاءُ — أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم نسب — يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لهل العم إنهمُ — على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه — والجاهلون لأهل العلم أحياء ([132]).

ومن علامات تعظيم الله تعالى:

تعظيم حرمة المسلم:

حرمة المسلم عند الله تعالى عظيمة، فدمه حرام، وماله حرام، وعرضه حرام، فلا يحل لأحد أن يحط من قدره أو أن يهينه بوجه من الوجوه، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** } الحجرات: 11،12.
وقال صلى الله عليه وسلم: " **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** " ([133]).
وقال صلى الله عليه وسلم: " **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج**

---
130 - تبين كذب المفتري
131 - شعب الإيمان للبيهقي.
132 - تنسب إلى عليّ رضي الله عنه.
133 - رواه مسلم.

عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " ([134]).

وقال صلى الله عليه وسلم: **" لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان يَنزِع في يده فيقع في حفرة من النار** "([135]).

نظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: " ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك " ([136]).

تعظيم المساجد وتوقيرها:

المساجد بيوت الله وحق بيوت العظيم أن تكون عظيمة.

قال الله تعالى: { **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ** } النور: 36،73.

---

134 - متفق عليه.

135 - متفق عليه.

136 - رواه الترمذي.






وتعظيم المساجد إنما يكون بـ

5- عمارتُها بذكر الله والصلاة وتلاوة القرآن ومجالس العلم، قال تعالى: { **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** } التوبة: 18.

6- ومن تعظيم المساجد: تنظيفها وتطييبها وتهيئتها للعبادة.

7- ومن تعظيم المساجد: ألا يحضرها الأطفال الصغار غير المميزين إلا مع أوليائهم.

8- ألا ترفع فيها الأصوات ولا تنشد فيها الضالات:

9- أما عن نشد الضالات، فقد قال صلى الله عليه وسلم:" **من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا راد الله إليك فإن المساجد لم تُبن لذلك** " ([137]).

وأما عن رفع الأصوات، فعن السائب بن يزيد - رضي الله عنه - قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: اذهب فائتني بهذين فجئته بهما، فقال: من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا: من الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ " ([138]).

ومن علامات تعظيم الله تعالى:

1) ألا تجعل له الفَضْلة:

إن آفة أهل عصرنا حتى الملتزمين منهم يُعطون لله فضل أوقاتهم !!

فإذا بقِي لديه وقت يقوم الليل فيه قام وإلا تركه، وإذا بقِي لديه وقت يقول الأذكار قالها وإلا غفل عنها، وإذا بقي لديه وقت حضر الدرس وتفقه في الدين وإلا لا يُشغل باله كثيراً، وقس على ذلك، فضاع الدين بين مشاغل الحياة وكأننا خُلقنا لإقامة الحياة لا لإقامة الدين !!

والله تعالى يقول: { **وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ** } البقرة: 267.

ليس من تعظيم الله أن تُعطِيَ له الفضلة من وقتك، وإنما تعظيم الله أن تقطع له من أعز الأوقات وقتاً، ومن أعز الأموال مالاً.

فما الذي يشغلك عن الله ؟ أهي النيا ؟ والله ما خلقتَ لها، قال تعالى: { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** } الذاريات: 56.

وفي الحديث الإلهي يقول الله تعالى: " **يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك** " ([139]).

---

137 - رواه مسلم.

138 - رواه البخاري.

139 - رواه أحمد والترمذي والبيهقي والحاكم وصححه الألباني.

ومعنى " **تفرغ لعبادتي** " أي اقطع جزءاً معلوماً محدداً من وقتك لطاعة ربك، لا يُزاحم هذا الجزء شيء.
فيا إخوتاه: عظموا الله تعالى في قلوبكم تعظموا عنده.

ومن علامات تعظيم الله:

2) ألا يُقَدَّم حقُ المخلوق على حق الخالق:

فإن تعارض حقٌ لله مع حق الزوجة أو الولد أو المدير في العمل أو المجتمع أو نحو ذلك فإن حق الله أولاً.
قال الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** }
[الحجرات: 1]، سميع لأقوالكم عليم بأحوالكم مطلعٌ على ما في صدوركم ثم يجازي على ذلك.
وقال الله تعالى: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** } التغابن: 14.
عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلاً سأله عن هذه الآية، فقال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُون أن يأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلما أتَوَا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أي بعد ذلك – رأو أصحابهم قد فقهوا في الدين، همُّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ }** [التغابن 14]([140]).
أي احذروا أن تنشغلوا بهم عن الله، أو احذروهم أن تقدموا حقوقهم على حقوق الله.

ومن علامات تعظيم الله:

3) استعظام الذنب وعدم استصغاره:

إن من أراد أن يُعظم الله تعالى لا يَحتقر ذنباً ولا يستصغر معصية " فَرُبّ جُرحٍ وقع في مقتل " ([141]).
فقد لعن الله إبليس وأهبطه من منزل العز بترك سجدة، وأخرج آدم من الجنة بسبب لقمة، ودخلت امرأةٌ النار بسبب هرة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقَى بها بالاً يلقى بها في النار أبعد مما بين

[140] - الصحيح من أسباب النزول: مجدي فتحي السيد.
[141] - الفوائد: ابن القيم.

المشرق والمغرب فكيف تأمن أن يجلسك الله في النار بسبب معصية واحدة من معاصيه !!

قال صلى الله عليه وسلم: **" إياكم ومحقِّرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه "** ([142]).

النظرة المحرمة، الكلمة المحرمة، اللقمة المحرمة، الجلسة في مجالس الغيبة، السيجارة....، محقَّرات يحتقرها العبد حتى تجتمع عليه فتهلكه،

قال الفضيل بن عياض: " بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله " ([143]).

وقال بلال بن سعد: " لا تنظر إلى حجم المعصية ولكن انظر في حق من عصيت " ([144]).

ومن علامات تعظيم الله تعالى:

4) أن تستحيي منه في الخلوة أعظم من أن تستحيي من أكاب الناس:

فالله أحق أن يُستحيا منه....الله أحق أن يُخشى... الله أحق أن يُراقب...لأنه هو {**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** } الشعراء: 219.

{ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** } غافر: 19.

يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الملساء.

قال صلى الله عليه وسلم: " **لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء يجعلها الله هباءً منثوراً** " قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جَلِّهم لنا ألا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: **" أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها "** ([145]).

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب عن خلقي وبالعصيان تأتيني
فما قولي له لما يعاتبني ويُقصيني

ومن علامات تعظيم الله:

5) ألا تحلف إلا به:

---

[142] - رواه أحمد بسند صحيح.
[143] - التوبة لأبن أبي الدنيا، شعب الايمان للبيهقي.
[144] - الزهد لابن المبارك، شعب الايمان للبيهقي، الحلية لأبي نعيم.
[145] - رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

قال صلى الله عليه وسلم: " **من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت** " ([146]).
وقال صلى الله عليه وسلم: " **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** " ([147]).
وإذ حلفت بالله فاحذر أن تقع في الكذب، قال صلى الله عليه وسلم: " **إن الله أذن لي أن أحدِّث عن ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، فيُرد عليه: ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً** " ([148]).

ومن علامات تعظيم الله:

6) أن من حلف لك بالله فلترض، وإن كنت على يقين أنه كاذب:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يحلف بأبيه فقال: " **لا تحلفوا بآبائكم، ومن حلف بالله فليصدق ومن حُلف له بالله فليرض ومن لم يرض بالله فليس من الله** " ([149]).
وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **رأى عيس ابن مريم رجلاً يسرق فقال: أسرقت ؟ قال: لا والذي لا إله إلا هو، فقال عيسى آمنت بالله وكذبتُ بصري** ".

7) تمجيده ومدحه والثناء عليه واللجوء إليه والاستعاذة به:

قال الله تعالى: {**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** }الواقعة:96
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعُ هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: " **اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة وديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي** " ([150]).

---

146 - متفق عليه.
147 - رواه الترمذي وصححه الألباني.
148 - رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة.
149 - رواه ابن ماجه وصححه الألباني.
150 - صحيح أبي داود.

المحتويات



